## تعقيب الدكتور محمد بن سعد بن حسين:

# تعليق وليس رداً

كثرت النبال ومع ذلك فلم أنهض لصدها لسببين أولهما أن بعضا من الناقدين متسلقون يريدون مهارشة من هو أعلى منهم ليرتفعوا بذلك درجة.

وثانيهما أن بعضا من الناقدين الآخرين ينظرون حينا بمنظار مستوفد ومثل هذا وذاك لا يعنيني في شيء.

لكن لرغبة هيئة التحرير كتبت هذا التعليق على بعض المسائل التي تحدث عنها الابن عبدالله الهويش.

ثم إن من دواعي سروري أن ينقد كتابي أحد تلاميذي -كما ذكرني هو بذلك-، وما أكثر هؤلاء التلامذة عبر ما ينيف على أربعين سنة قضيتها في التعليم، وما زلت في الميدان، والحمدلله.

والناقد ليس له بد من أن يراعي ما أثبته المؤلف، فالكتاب ثمرة برنامج من برامج إذاعة القرآن الكريم نبهت على أني أنشر هذه الحلقات كما هي فلا حجة للكاتب في هذه المسألة.

وطبيعة الأحاديث الإذاعية أنها لا تذكر فيها المصادر، وإن ذكرت ففضل زيادة. ومن المآخذ التي أخذها الابن عبدالله عليّ قوله : « هؤلاء سبعة عشر شاعرا من المملكة ».

وأحسب هذا الذي عده مأخذا مما أعتز به، بل إنني أرى أني بهذا مقصر في حق الأدب السعودي، فلأدب أمتنا حق علينا ليس لنا بد من قضائه رضي بذلك الهويش وأمثاله أو لم يرضوا، وسهمي في هذا الميدان وافر، والحمدلله.

ومن قوله أيضا أني لم أسر على منهج واضح، وهذا يعني أن نظرته غائمة بحيث لا يتبين ما المنهج وما سواه، ويمثل لذلك بقوله: « فقد تجد ترجمة تصل إلى عشرين صفحة، وترجمة أخرى لا تزيد على صفحتين، مع عدم الدقة في اختيار الشعراء بل حشد الكتاب بأسماء كثيرة ممن قال شعرا أو كلاما منظوما ».

وهذا دليل على جهله بواقع ما كنت أتحدث عنه، إذ من الشعراء من وفرت مادة الأدب الإسلامي عنده، ومنهم من هو دون ذلك بكثير.

د . محمد بن سعد بن حسين

ويطعن في شاعرية بعض العلماء الشعراء بقوله:«وهذا النوع وإن احتوى مضامين إسلامية فإن اعتبار أصحابه من الشعراء الإسلاميين وترجمتهم في مثل هذا الكتاب بعيد عن الصواب. فالشعر ليس هو الكلام الموزون المقفى فحسب كما لا يخفى على علم الدكتور الفاضل».

ومعلوم أن كثيرين من العلماء كانوا من الشعراء المرموقين كالأرجاني والتوحيدي الأندلسي وأمثالهما كثر.

وكون العالم يشتهر بعلمه لا يعني ذلك طمس مواهبه الأدبية وأحسبه لا يستطيع إثبات ذلك، ثم إني لم أقل عن المنظومات العلمية : إنها شعر، كما زعم في مقاله فأنا أعرف الفرق بين النظم وبين الشعر، ولم أمثل بشيء من النظم على أنه شعر، ولكن الرجل يريد أن يقول، فليقل.

ويقول، - وهذا دليل على جهله - يقول :« تساهل المؤلف في إيراد بعض الشعراء ممن لا يصح أن يقال عنهم إنهم من شعراء الإسلام بمعنى الالتزام بمضامينه وتمثيل قيمه والمنافحة في سبيله وتوظيف شعرهم في سبيل ذلك ».

إن هنا فرقا بين الذات وإبداع الذات ولذا فأنا أرفض وصف الشاعر بأنه إسلامي مهما بلغ من الإحسان في إبداعه ولكني أقول هذا شعر إسلامي وبناء على ذلك فصاحبه يوصف بأنه من شعراء الإسلام لكن لا يوصف بأنه إسلامي، وإنما الذي يوصف بذلك هو الإبداع وهذه أمور بسطت قولي فيها فيما نشر لي من كتب مثل: قضايا في الأدب الإسلامي وقفات تصحيحية، والأدب الإسلامي بين الواقع والتنظير وغير هذه فليرجع إليها من شاء الاستيضاح.

ومما عده الكاتب تقصيرا عدم التفصيل في أنساب الشعراء ممثلا بنسب أبي تمام.

والمستمع لإذاعة القرآن الكريم لا يعنيه من أمر نسب أبي تمام شيء وإنما الذي يعنيه إبداع أبي تمام في مجال الأدب الإسلامي.

ويلومني على أن قلت عما روي عن الأصمعي في شعر حسان، وأنه ضعف في الإسلام، وهذه قضية تتصل بصدق نسبة تلك الأقوال إلى الأصمعي وعدم صحة نسبتها إليه، ومثل هذا لا يحتمله الموقف إلى كونه يشتمل على شيء من تشكيك في مصداقية بعض الرواة، على أني قد بسطت ذلك في البحث المقدم إلى المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، وهو مطبوع ضمن البحوث، وفيه برأت الزاهد الورع الأصمعي من تلك الأقوال.

ويقول : « وقد يعذر المؤلف عندما كانت أحاديث في الإذاعة لها حيزها ووقتها المحدود ولكن ما عذره بعد والكتاب مبسوط بين يديه والوقت متسع ».

وأحسبني قد نبهت على ذلك، أعني أني عمدت إلى نشر هذه الحلقات كما هي، ومن حقي ذلك، وما دمت قد نبهت على هذا فليس من حق أحد أخذي بشيء من ذلك.

وأما قوله عن الأخطاء :« ومما يؤسف له وجود بعض الأخطاء النحوية والإملائية والمطبعية، ولعل المؤلف لم يشرف على طباعته ». فإنه صادق في ذلك. وسببه أني وكلت أمر مراجعة التجارب إلى أحد الأساتذة الذين يحملون درجة الدكتوراه في الأدب، ويبدو لي أنه إما أن تكون المطبعة اعتمدت على تجربة لم تراجع،أو أن الدكتور كان هو المسؤول عن هذا، وعلى أي حال فلا أعفي نفسي من الخطأ في الاعتماد على الآخرين.

ويقول : « ويقرر المؤلف أن جل مدح شوقي ضاع وخاصة ما كان منه في ملوك مصر ».

وأزيد على قولي السالف: إنهم لم يقفوا عند حذف بعض القصائد، بل حرفوا في بعضها كمطلع قصيدته ( إلى عرفات ) فأصل البيت :

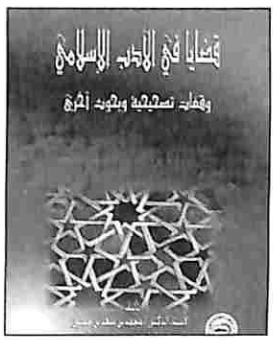


**إلى عرفات الله يا ابن محمد**

**عليك سلام الله في عرفات**

فحرفوا فيه بوضع (خير زائر) بدلا من (ابن محمد)، وما علموا أنهم بذلك رفعوا من شأن الخديوي بدلا من أن يهملوه.

ولا ألوم الناقد لأنه اعتمد على هذه النسخ التي لعبت بها الأهواء.

ويقول : «إن الله تعالى إنما ذم من الشعراء من سخر لسانه لما لا ينسجم مع الفكر الإسلامي والإرشاد السماوي وهو الكتاب العزيز والسنة المطهرة» (ص٥).

ووصف القرآن العزيز والسنة المطهرة بالفكر الإسلامي والإرشاد السماوي خطأ واضح.

ويبدو أن الابن العزيز كان في عجلة من أمره فلم يعط العبارة حقها من التفكير، فأنا أعرف الفرق بين الفكر الإسلامي وما هو من كلامه سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ والعبارة نفسها التي نقلها تدل من تأمل على هذا.

ويأبى ابننا العزيز إلا أن يدل القارئ على ما ينفي زعمه هذا فيروي قولي :« عرف شعر الدعوة الإسلامية بأنه : «الشعر الذي خدم به أربابه الإسلام فكرا واعتقادا وعملا » ثم وضح كلا من هذه الثلاثة فقال عن الفكر: وأما الفكر فمن خلال شرح مسائل الإسلام أصولا وفروعا وشرح أفكار رجال الإسلام ومحاولة توضيح هذه المسائل وتقريب هذه الأفكار ».

فهلا تأملت هداك الله ولم ترد على نفسك بنفسك.

ثم يستنتج من ذلك فيقول : « وعلى هذا التعريف يمكن اعتبار المتون العلمية المنظومة في العقيدة والفقه وخلافها من الشعر الإسلامي ». فمن الذي قال: إن نظم الفنون من باب الشعر؟

إنك يا بني تخبط في الأمر (خبط عشواء) تريد أن تقول ما يقال فيه إنك قلت، ولا شيء بعد، فهلا احتطت لنفسك؟ أما احترام القارئ فذلك ما لم تضعه في حسابك مطلقا.

ويعود إلى حديثي عن شعر حسان رضي الله عنه فيقول : « نقل المؤلف رأي الأصمعي في ضعف شعر حسان في الإسلام وأنه لا يقوى إلا في الشر ثم علق بقوله : « وهذه مسألة جديرة بالوقوف عندها لولا إن المجال لغيرها، (ص١٦) . وأقول إذا لم يتحدث عن هذه المسألة في كتاب عن شعراء الإسلام فأين يتحدث عنها».

وهذا ما أسلفت الإشارة إليه، وأزيد أن الذين رووا عن الأصمعي هذه الأقوال كان توثيقهم موضع نظر.

أما استنكاره وصف عصر أبي تمام بالتساهل والتهاون فيبدو أنه يجهل واقع تلك الأزمنة، هذه ناحية، والناحية الأخرى أني لم أنف وجود الفضلاء من علماء وغيرهم، وإنما الحكم كان على الغالب.

ويقول عن قولي في قصيدة محمود غنيم :« لولا ضيق الوقت لأوردناها كاملة »، وأقول ما معنى ضيق الوقت هنا ؟» ويبدو أنه لا يعرف كيفية التعامل مع الوسائل الإعلامية وإلا لما قال مثل هذا.

ويقول : « عندما عدد أسباب توافر الشعر الإسلامي في هذا العصر ذكر منها إنشاء المسرحيات الشعرية (ص٨) وفي اعتقادي أن وجود الشعر المسرحي في الأدب الحديث ليس له علاقة بالشعر الإسلامي ولا يصح تعليل وجود أحدهما بالآخر ». وفي هذا القول خطآن الأول أني لم أحكم بوجود هذا الارتباط، والثاني قوله ( وفي اعتقادي) والاعتقاد مصطلح شرعي لا يصلح استعماله هنا.

أما قوله : « يقول عن الشاعر حسن جاد إنه أستاذه (ص٢٤٨) وكان من حقه عليه أن يترجم له وهو جدير بذلك ». ومثلك لا يعلمني كيفية التعامل مع الشيوخ لأن ( فاقد الشيء لا يعطيه).

وأخيرا فقد نفض الابن عبدالله الهويش كل ما في كنانته من سهام من غير أن يصيب هدفا واحدا، فليرجع إذا شاء إلى ما كتبه د. حسن الهويمل عن هذا الكتاب نفسه في صحيفة الجزيرة، أو ليراجع ما كتب هو عنه، فإنه سوف يتبين الخلل فيما كتب، هذا إذا كان الإنصاف من مقاصده.

أما إذا كان قوله انطلاقا من شهوة الكلام فذلك داء لا دواء له إلا أن يدعى له بالشفاء.

ثم إن من يتصدى لنقد أي عمل إبداعي أو تأليفي ليس له بد من أن يفهم العمل فهما دقيقا لكي يكون نقده موضوعيا في كل ما يتحدث به، وليس مجرد استجابة لرغبة في الكلام.

على أن مثل هذا - أعني نقد مؤلفاتي- يسرني كثيرا ألا يكون مبنيا على هدف مسبق، وهو الطعن لمجرد الطعن. إلى كون الناقد من أبنائي، وهذا يضيف إلى سروري سرورا لأنني أرى في الطيبين منهم امتدادا لي، ومنهم عبدالله الهويش، ولكنه أخطأ الطريق، وكلنا خطاء إلا من رحم الله.

وعلى أي حال فللابن عبدالله الهويش مني التحية والتقدير والشكر وإن اختلفت معه في كثير مما كتب عن كتابي ( من شعراء الإسلام) هذا الذي أنوي إعادة طبعه مع بعض كتبي، وذلك حينما أفرغ مما لدي مما لم يطبع ولم ينشر وهو كثير. ■